الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

من الدراري المضيئة

{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨)المجلد الرابع
رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)

الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦

رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١-أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣-أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤-أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصيغة APA

٦-أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧-أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨-أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩-تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢،٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١٠-في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١١-يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٢-يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٣-لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٤-لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٥-تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٦-يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٧-يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٨-يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

١٩-تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢٠-ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (offreserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢١-لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٨) المجلد الرابع

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	مشاهدات الرحالة الأجانب في مدينة السليمانية (رحلة المستر ريج عام ١٨٢٠ إنموذجاً)	أ.د. وسن حسين محيميد	١٠
٢	دلالات لفظ (ماكان) في سورة التوبة في ضوء السياق العام والوحدة الموضوعية	أ.م.د صالح محمد حميد	٢٢
٣	صيغ التساؤلات التفسيرية أنواعها وأبعادها اللغوية والدلالية عند الإمام أبي السعود (رحمه الله) –سورة ال عمران أنموذجاً–	أ . م. د. سعد محمد حسن الباحث: أحمد إسماعيل إبراهيم	٣٤
٤	الأبواب .. عمارتها وتاريخها في العتبة العلوية المقدسة (النجف الاشرف)	م.د. امتثال كاظم النقيب	٥٨
٥	التوسع العمراني للتجاوزات العشوائية وأثره في تغير استعمالات الأرض الزراعية في مدينة الحندية	م.د. نهى نعمة محمد	٧٦
٦	منهج القرآن الكريم في تعزيز دور الاسرة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة	م. د. رؤى شاكر نعمه م. د. اسراء حسن خلف	٩٨
٧	النشاط المسرحي ودوره في تعزيز قيم العمل الجماعي لدى طلبة قسم التربية الفنية	م. د. علي حسين حمدان جاسم	١١٢
٨	الدرس الصوتي العربي بين الصوتيات والفونولوجيا: مسارات التحوّل وتجديد الرؤية	م. د.شيماء عبد الكريم حسين	١٢٦
٩	مهارات التفكير الايجابي لدى المرشدين التربويين	م. د. حسام ياسين علي م. د. سحر علي مهدي م. د. سماء فالح غالي	١٣٨
١٠	الاحكام الفقهية المتعلقة بتذوق المشروب المباح والمرهون عند المرتهن«دراسة فقهية	م.د. علي الطيف حمد صالح	١٥٦
١١	التنمية المستدامة وأساليب دمجها في تدريس اللغة العربية «مقال مراجعة»	م.د. علي ثابت حسان جبر	١٦٦
١٢	A Multimodal Stylistic Analysis of Textual/ Compositional Meaning in Iraqi Children's Picture Books	Dr. Nissrine Jabbar Hussain	١٧٢
١٣	سيمياء البنية الاطارية في الرواية العراقية المعاصرة «دراسة في رواية خاتون بغداد»	م. د. نورا عبد الهادي عبد	١٩٢
١٤	فاعلية استراتيجية الأركان التعليمية في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط بمادة الفيزياء وتفكيرهم التبادلي	م.م. فلاح غازي علي النايلي	٢٠٢
١٥	السياحة البيئية وأثرها على التنمية الاجتماعية في مدينة الكوفة	م. م. رسل مسلم رزاق	٢٢٢
١٦	البناء الاجتماعي للمجتمع المدني في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) دراسة تحليلية لوثيقة المدينة	م. م. سرى عمران نوح	٢٤٠
١٧	فاعلية أنموذج مارزانو لأبعاد التعلم في تنمية مهارات التفكير العليا لدى طلبة الصف الخامس الإعدادي في مادة الجغرافية	م. م. سناء بلاسم محمد رسن	٢٥٠
١٨	مستوى التفكير التأملي لدى طلبة اقسام اللغة العربية في جامعة الانبار	م. م. عنتر عبد الله غزاي م. م. احمد باسل احمد	٢٧٠
١٩	الرمز اللغوي بوصفه أداة للتفاعل الحضاري في الشعر العربي القديم	م.م. أمجد شهاب عبد صالح م. م. مصطفى وسام صبحي	٢٨٦
٢٠	مخطوط (مجلس في ذكر سلمان المحمدي) (تحقيق) للسيد حسن بن هادي الصدر الموسوي الكاظمي «١٢٧٢-١٣٥٤»	م.م. آيه عزيز معن	٢٩٨
٢١	الدبلوماسية الرياضية ودورها في تعزيز السياسة الخارجية السعودية «رؤية مستقبلية لعام ٢٠٣٠م»	م. م. حيدر صاحب علي	٣١٠
٢٢	تحليل محتوى كتب الفيزياء للمرحلة المتوسطة وفق معايير (NYLC-SL)	م. م. دعاء حميد كريم	٣٣٢
٢٣	منهج الوسطية في ضوء القرآن والروايات الشريفة	م. م. رأفت حسن علي	٣٥٦
٢٤	إشكالية العلم والفن	م.م زيد اسماعيل يوسف أ.م.د بان محمد علي	٣٦٦

محتوى العدد (١٨) المجلد الرابع

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
٢٥	منهج العلامة ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) في تفسيره	م. م. زينب عبد الله عناوه أ.د. أحمد عبد الجبار علي	٣٨٢
٢٦	العلاقة بين الحكومة الاتحادية وحكومة إقليم كردستان بعد العام ٢٠١٤م	م. م. شيماء فاضل نصيف	٣٩٠
٢٧	برنامج تعليمي قائم على التنمية المستدامة في تدريس مادة علم الأحياء واثرة في تنمية التفكير العلمي لدى طلاب الرابع العلمي	م. م. عمران محمود جاسم م. م. وسام عامر نصيف	٤٠٤
٢٨	جماليات الزي التاريخي في عروض المسرح المدرسي	م. م. جواد صادق حمود	٤٢٢
٢٩	الإثراء الوظيفي على وفق نظرية جيتزلز وعلاقته بالتطوير التنظيمي لدى مديري المدارس الابتدائية من وجهة نظر المعلمين	م. م. علي صالح محمد	٤٣٤
٣٠	الحياة العلمية في بغداد خلال العصر العباسي وأثرها في تطور الحضارة الإسلامية	م. م. محمد جاسم طويرش	٤٥٤
٣١	النظم الاجتماعية المغولية من خلال كتاب التاريخ السري	م. م. محمد كريم السلطاني	٤٧٠
٣٢	واقع مكتبات المراكز البحثية في جامعة البصرة مكتبة مركز دراسات البصرة والخليج العربي أنموذجاً	م. م. ميادة خزعل رحمن	٤٨٠
٣٣	الثورة في الشعر الحسيني	م. م. هديل جبار هويي	٤٩٠
٣٤	مدرسة برديس هيلدرم اليهودية (فردوس الاولاد) الابتدائية ١٩٢٤-١٩٣١ دراسة	.م عماد علي مهدي	٥٠٠
٣٥	التدخلات النفسية والتربوية في تخفيف القلق الاجتماعي لدى طلبة جامعة القادسية	الباحث. رحيم محمد جبر عبود	٥١٠
٣٦	دور الطالب الجامعي في التمهيد للدولة المهدوية والانتظار	الباحثة: اثمار محمد عبد الرحيم	٥٢٤
٣٧	الراديكالية وتمثلاتها في المسرح العربي مسرحية «الجنسية فلسطيني» لـ رضوان عبدالغني شبلي اختياراً	الباحثة. رواء محمد خالد أ.د محمد عبدالزهرة محمد	٥٣٦
٣٨	دور الفن الإسلامي المعاصر في تشكيل هوية المدن الذكية دراسة تحليلية للفنون البصرية في العالم العربي	الباحث: سامر عدنان علي	٥٥٨
٣٩	نظام الأطروحة في التلقيح الصناعي عند السيد محمد الصدر	الباحث: محمد رعد جياد م. د صادق عباس كاظم	٥٧٤
٤٠	التقويمات العامة للرواة عند الشهيد الثاني (ت ٩٩٦هـ)«دراسة تحليلية»	أ.م. د. آمال حسين علوان الباحث: نجم عبدالله مسعد	٥٩٦
٤١	العلاقة بين إصلاح النفس والسعادة الحقيقية	الباحث: نور صاعب كاظم أ. م. علي محمد علي شفيق	٦١٢
٤٢	دور الاخصائي الاجتماعي في علاج وتأهيل المراهقين المدمنين على المخدرات دراسة ميدانية في محافظة بغداد	الباحثة: نور صباح رمل أ. د. ميسم ياسين عبيد	٦٢٤
٤٣	ظاهرة الاشتراك في شعر الخضري	نور محسن اجريدي أ.م. د. عماد علوان حسين	٦٣٨
٤٤	دور حل المشكلات بتنمية مهارات التفكير لدى طلبة الصف الخامس	الباحثة: همسة جاسم أحمد	٦٥٤
٤٥	الشك في العبادات مقاربة تحليلية وتجديدية من منظور الفقه الإمامي	م. م. هيثم مظهر محي	٦٧٠

دلالات لفظ (ما كان) في سورة التوبة في ضوء السياق العام والوحدة الموضوعية

أ.م.د صالح محمد حميد الحربي
كلية الامام الاعظم/ قسم اصول الدين ديالى

المستخلص:
يتناول هذا البحث دلالات لفظ "ما كان" في سورة التوبة، باعتباره تركيباً قرآنيّاً يتجاوز النفي اللغوي ليؤسس قواعد عقدية وتشريعية وتنظيمية دقيقة. وقد اختير الموضوع لما يحمله من أبعاد دلالية ترتبط بالبراءة من المشركين، وتنظيم الصف المؤمن، وترسيخ السنن الإلهية، مع ندرة الدراسات التي تناولت هذا اللفظ في سياق السورة.
اعتمد البحث المنهج التحليلي–الاستقرائي باستقراء مواضع "ما كان" وتحليل سياقها وربطها بالوحدة الموضوعية، مع الإفادة من أقوال المفسرين القدامى والمعاصرين. وتوزعت الخطة على ثلاثة مباحث: الأول يتناول التعريف بالسورة وسياقها العام ووحدتها الموضوعية ودلالات "ما كان"، والثاني يدرس دلالته في البراءة العقدية وقطع التبعية عبر نفي الأهلية في عمارة المساجد ونفي مشروعية الاستغفار للمشركين وتنزيه مقام النبوة، أما الثالث فيكشف عن دلالته في تقويم السنن الإلهية وتنظيم الجماعة المؤمنة من خلال نفي الإضلال بعد الهداية، ونفي التخلف عن الرسول، وترشيد النفير العام.
خلص البحث إلى أن الوحدة الموضوعية للسورة تدور حول البراءة من المشركين وفضح المنافقين وتنظيم الصف المؤمن والتحريض على الجهاد، وأن "ما كان" ليست مجرد نفي للفعل بل نفي للشأن، فهي أداة دلالية وتشريعية تُستخدم لترسيخ الفصل العقدي والتنظيمي، وتؤكد أن البراءة والعدل الإلهي والنصرة والجهاد مبادئ ثابتة لا تقبل الاستثناء.

الكلمات المفتاحية : دلالات، ما كان، سورة التوبة، السياق العام، الوحدة الموضوعية .

Abstract:

This study examines the semantic dimensions of the expression "ma kāna" in Sūrat al–Tawbah, as a Qur'anic construction that transcends simple linguistic negation to establish precise doctrinal, legislative, and organizational principles. The topic was chosen due to its deep semantic implications related to disavowal of polytheists, regulation of the believing community, and affirmation of divine norms, alongside the scarcity of independent studies addressing this expression within the sūrah's context.

The research adopts an analytical–inductive method, surveying occurrences of "ma kāna" in Sūrat al–Tawbah, analyzing their contexts, and linking them to the sūrah's thematic unity, while drawing on classical and modern exegetical sources. The plan is structured into three sections: the first outlines the sūrah's background, thematic unity, and the meaning of "ma kāna"; the second explores its role in doctrinal disavowal and severing ties, through negating polytheists' eligibility to build mosques, prohibiting seeking forgiveness for them, and safeguarding prophetic integrity; the third highlights its function in affirming divine norms and organizing the community, by negating misguidance after guidance, rejecting abandonment of the Prophet, and regulating collective mobilization.

The study concludes that the sūrah's unity revolves around disavowal

of polytheists, exposing hypocrites, organizing the believing ranks, and urging jihad. Moreover, "ma kāna" is not mere negation of an act but of its very nature, serving as a precise semantic and legislative tool that reinforces doctrinal separation, divine justice, loyalty, and jihad as immutable principles.

Keywords: Indications, What was, Surah At-Tawbah, General Dictionary – Thematic Unity.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، وجعل فيه من البيان والدلالات ما ينير طريق المؤمنين ويكشف لهم سننه وأحكامه، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

إنّ المتأمل لكتاب الله تعالى يجد أن التعبير القرآني لا يقتصر على البيان اللغوي فحسب، بل يحمل أبعاداً دلالية عميقة تتصل بالعقيدة والسنن الإلهية وتنظيم المجتمع المؤمن، ومن أبرز هذه الصيغ ما ورد في النفي بـ "ما كان"، إذ يتجاوز مجرد النفي إلى تقرير قاعدة راسخة أو حكم قطعي يحدد علاقة المؤمنين بربهم وبغيرهم، ويضبط مسار الجماعة في ضوء الهداية الإلهية، ولعل سورة التوبة من أوضح السور التي تجلّت فيها هذه الصيغة، حيث جاءت لتؤكد البراءة العقدية من المشركين، وتقطع أسباب التبعية لهم، وتضع الأسس التنظيمية للجماعة المؤمنة في مواجهة التحديات، مما يجعل دراسة هذا اللفظ مدخلاً لفهم أبعاد السورة ووحدتها الموضوعية.

ومن هنا جاء اختيار موضوع البحث لإبراز البعد الدلالي لعبارة "ما كان" في سورة التوبة، والكشف عن وظيفتها السياقية في خدمة الوحدة الموضوعية للسورة، وذلك لما تحمله من معانٍ عقدية وتنظيمية بالغة الأهمية، ولما في دراستها من إضافة علمية إلى ميدان الدراسات القرآنية، خاصة مع ندرة البحوث المستقلة التي تناولت هذا اللفظ في ضوء السياق العام.

ويهدف البحث الموسوم بـ دلالات لفظ (ما كان) في سورة التوبة في ضوء السياق العام والوحدة الموضوعية إلى استقراء مواضع هذا اللفظ في السورة، وتحليل دلالاته المتنوعة وربطها بالسنن الإلهية والضوابط العقدية والتنظيمية التي ترسّخها السورة في المجتمع المؤمن. وتتمثل إشكالية البحث في السؤال الرئيس: كيف أسهمت صيغة "ما كان" في سورة التوبة في تقرير البراءة العقدية، وتنظيم الجماعة المؤمنة، وترسيخ السنن الإلهية؟ ويتفرع عنه أسئلة فرعية تتعلق بطبيعة المعاني الدلالية لعبارة "ما كان"، وكيفية خدمتها للوحدة الموضوعية للسورة، وأثرها في بناء المفاهيم التنظيمية.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي–الاستقرائي، من خلال استقراء مواضع "ما كان" في سورة التوبة، وتحليل السياق العام لكل موضع وربطه بالوحدة الموضوعية للسورة، مع الاستعانة بأقوال المفسرين القدامى والمعاصرين، وتوظيف أدوات التحليل الدلالي والموضوعي، وصولاً إلى نتائج تربط بين الدلالة اللغوية والوظيفة العقدية والتنظيمية، بما يبرز عمق الصياغة القرآنية ووحدة بنائها الموضوعي.

وتقوم خطة البحث على ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأوّل: معلومات عامة عن سورة التوبة ودلالات لفظ (ما كان) .

المطلب الأول: التعريف بسورة التوبة وسياقها العام.

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية وأهم موضوعات السورة.

المطلب الثالث: دلالات ومفهوم لفظ (ما كان) .
المبحث الثاني: دلالة (ما كان) في سياق البراءة العقدية وقطع الولاية.
المطلب الأول: نفي الأهلية العقدية في عمارة المساجد.
المطلب الثاني:نفي مشروعية الاستغفار للمشركين بعد قيام الحجة.
المطلب الثالث: تنزيه مقام النبوة وضبط الاستثناء في الاستغفار.
المبحث الثالث: دلالة (ما كان) في تقويم السنن الإلهية وتنظيم الجماعة المؤمنة.
المطلب الأول: نفي الإضلال الإلهي بعد الهداية وتقرير سنّة البيان
المطلب الثاني: نفي التخلف عن الرسول وترسيخ واجب النصرة
المطلب الثالث: ترشيد النفير العام وتنظيم فقه الجهاد.

المبحث الأوّل: معلومات عامة عن سورة التوبة ودلالات لفظ (ما كان).

المطلب الأول: التعريف بسورة التوبة وسياقها العام .

سورة التوبة لم تقتصر على الاسمين المشهورين (التوبة وبراءة)، بل عُرفت بأسماء أخرى كثيرة عند السلف، وكل اسم منها يعكس جانبًا من مضمونها الشديد في مواجهة المنافقين والمشركين. فقد سميت التوبة؛ لورود قصة توبة الله تعالى على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، براءة لأنها أعلنت البراءة منهم، وسميت المقشقشة أي المبرئة من النفاق والشرك، كما لُقبت بـ البحوث، المبعثرة، المنقرة، المثيرة، الحافرة لأنها بحثت وكشفت وفتشت عن أحوال المنافقين وفضحتهم. وأطلق عليها أيضًا أسماء مثل المخزية، الفاضحة، المنكلة، المشردة، المدمدمة، وسورة العذاب لأنها أخزت المنافقين، وفضحتهم، ونكّلت بهم، وشردتهم، ودمدمت عليهم، وذكرت ما أعد الله لهم من العذاب. وهي سورة مدنية تمتاز بطولها وكثرة موضوعاتها، إذ تضم « ١٢٩» آية، وتحتوي على ما يقارب ألفين وخمسمائة كلمة وأكثر من عشرة آلاف حرف.

رويت أقوال متعددة في سبب عدم افتتاح سورة التوبة بالبسملة، فقد سأل محمد بن الحنفية أباه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فقال: يا بني إن براءة نزلت بالسيف، والبسملة أمان، فلا يجتمعان. وقال سفيان بن عيينة: لأن التسمية رحمة، وهذه السورة نزلت في المنافقين. وقيل أيضًا إن الصحابة اختلفوا: هل التوبة والأنفال سورة واحدة أم سورتان مستقلتان؟ فتركوا بينهما فرجة بلا بسملة، ليشيروا إلى من قال إنها سورة واحدة، وليُظهروا لمن قال إنها مستقلة أنها منفصلة، فكان ذلك سببًا في عدم كتابة البسملة في أولها. قال ابن كثير: « وإنما لا يبسمل (٦) في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام، والاقتداء في ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان» .

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية وأهم موضوعات السورة .

اوّلاً: الوحدة الموضوعية والسياق العام: فالموضوع الرئيس في سورة التوبة هو البراءة من المشركين، وفضح المنافقين، وأهل الكتاب، وكشف حقيقة المثبطين والمتخلفين عن الجهاد، تنظيم الصف المؤمن، والتحريض على الجهاد.

وسياقها العام: يقوم على بناء الجماعة المؤمنة وتمييزها عن غيرها، من خلال الولاء لله ورسوله، والالتزام بالعلم والجهاد معًا.

ثانيا: أهم موضوعات السورة: افتتحت بالبراءة من المشركين ومنحهم مهلة أربعة أشهر، ثم إعلان الحرب عليهم ومنعهم من دخول المسجد الحرام، كما أمرت بمجاهدة أهل الكتاب حتى يؤدوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وتضمنت في قسمها الأول (حتى الآية ٤١) الحث على الجهاد والنفير العام بالأموال والأنفس، ثم انتقلت في القسم الثاني إلى فضح المنافقين وكشف مخاطرهم، مع الإشارة إلى تخلف الأعراب وأهل المدينة

عن الجهاد، وفضح مؤامراتهم مثل بناء مسجد الضرار.

المطلب الثالث: دلالات ومفهوم لفظ (ما كان) .

لفظ «كان» في اللغة: يدل على ثبوت الخبر لإسمها في الزمن الماضي، وقد يُفهم منه الاستمرار أو الانقطاع بحسب السياق. فإذا قلت: زيد قائم فهذا إثبات مجرد، أما قولك: كان زيد قائمًا فهو أقوى دلالة لأنه يثبت القيام في زمن مضى، وقد يستمر أو ينقطع. ومن أمثلة الاستمرار قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: ٩٢]، حيث تفيد صفة دائمة لا تنقطع.

أمّا في البلاغة، فإنّ « كان « قد تأتي زائدة للتوكيد، خاصة في تراكيب التعجب مثل: ما كان أحسن زيدًا، أو بين اسمين متلازمين كالمبتدأ والخبر أو الصفة والموصوف، لتقوية المعنى دون إضافة حكم جديد.

ولفظ كان في القرآن يأتي على خمسة أوجه:

بمعنى الأزل والأبد: أي الدوام والاستمرار، مثل قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: من ٩٢].

بمعنى المضي المنقطع: وهو الأصل في معانيها، مثل قوله: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ } [النمل: من ٤٨]

بمعنى الحال: أي في الزمن الحاضر، مثل قوله تعالى:{ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا } [النساء: ١٠٣]

بمعنى الاستقبال: أي المستقبل، مثل قوله: {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان: من ٧].

بمعنى صار: أي التحول، مثل قوله: {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٣٤].

أمّا تركيب لفظ (ما كان) في القرآن فيأتي على وجهين:

أحدهما: بمعنى النفي، أي نفي الوقوع أو القدرة، مثل قوله تعالى: {مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا} [النمل:من ٦٠].

الثاني: بمعنى النهي، أي نفي الجواز والمشروعية، مثل قوله: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} [الأحزاب: ٥٣].

وبهذا يتبين أن لفظ كان في اللغة والقرآن متعدد الدلالات، فقد يأتي للدوام أو الانقطاع أو الحال أو الاستقبال أو التحول، بينما تركيب ما كان يضيف قوة خاصة، إذ يجمع بين النفي المؤكد والنهي الصريح، فينفي القدرة أو الوقوع، ويقرر عدم الجواز والمشروعية، ومن ثم فإن «ما كان» يمثل أداة بلاغية وتشريعية دقيقة، تُبرز عمق البيان القرآني في تقرير الأحكام وترسيخ القيم العقدية والتنظيمية.

المبحث الثاني: دلالة (ما كان) في سياق البراءة العقدية وقطع الولاية .

المطلب الأول: نفي الأهلية العقدية في عمارة المساجد.

أن نفي الأهلية العقدية للمشركين في عمارة المساجد ليس مجرد حكم تنظيمي، بل هو إعلان براءة وقطع ولاية، يؤكد أن عمارة المساجد وظيفة إيمانية خالصة لا يشارك فيها من يشهد على نفسه بالكفر، قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ (التوبة: ١٧)، يقول الطبري: « إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها، لا للكفر به، فمن كان بالله كافرًا، فليس من شأنه أن يعمُر مساجد الله» . فالمشركين ما كان لهم أن يقوموا بعمارة مساجد الله، بل كانت أفعالهم سببًا في خرابها؛ إذ إن عمارة المساجد إنما تكون بذكر الله فيها، وبإقامة الصلاة وفعل الخيرات، كما قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(النور: من ٣٦) . أما المشركون فلم يعمروها لذكر الله، وإنما جعلوها موضعًا لذكر الأصنام والأوثان، فكان وجودهم فيها خرابًا لا عمارة، وضلالًا لا هداية.

وسبب نزول الآية يؤكد نفي الأهلية العقدية للمشركين في عمارة المساجد، جاء في اسباب النزول للواحدي،

أن حادثة أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر كانت سببًا في نزول قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾. فقد عيّره المسلمون حينئذ بكفره وقطيعة الرحم، فاحتج عليهم بما كان يراه من محاسن قريش، مثل عمارة المسجد الحرام، وحجب الكعبة، وسقاية الحاج، وفكّ الأسير. فجاء الردّ القرآني قاطعًا لهذه الدعوى، نافياً أن تكون تلك الأعمال مع الكفر عمارةً حقيقية للمساجد، بل هي في حقيقتها صورة من صور الخراب، لأنها خلت من شرط الإيمان والذكر الخالص لله.

وصيغة «ما كان» هنا تحمل دلالة قوية على النفي المؤكد، فهي ليست مجرد نفي عابر، بل تقرير قطعي بعدم إمكان وقوع الفعل أو ثبوته شرعًا وعقدًا، فتأتي «كان» في سياق صحة النفي، لا لنفي وقوع الفعل، فهي بمعنى: ما صح وما استقام، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٦٧)، والآية التي نبحثها في هذه السورة، في قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١٧)، فالنفي هنا يُسمّى نفي الشأن، وهو أبلغ من مجرد نفي الفعل؛ لأنه يقرر أن الأمر المنفي ليس من شأن المخاطَبين أصلًا، ولا يليق بهم، ولا يمكن أن يصح في حقهم. جاء في تفسير المنار، أنّ النفي هنا بهذه الصيغة يسمى بنفي الشأن، وهو أبلغ من مجرد نفي الفعل؛ لأنه ينفي إمكان وقوعه أو ثبوته بالدليل، لا مجرد امتناعه عادة أو شرعًا، فالمعنى أن عمارة المساجد ليست من شأن المشركين أصلًا، إذ فقدوا شرطها العقدي. ، وبهذا الأسلوب يُغلق النص القرآني أي احتمال لإثبات أهلية المشركين في عمارة المساجد، ويجعل الحكم نهائيًا لا يقبل الاستثناء.

أما في سياق سورة التوبة، فإن هذه الصيغة تأتي منسجمة مع الوحدة الموضوعية للسورة التي تقوم على إعلان البراءة من المشركين وقطع روابط الولاء معهم، وإبراز التمايز العقدي بين المؤمنين والكافرين، فالسورة في مجملها تؤكد على الفصل بين الإيمان والكفر، وتضع حدودًا فاصلة في التعامل والولاية، ومن هنا جاء نفي أهلية المشركين لعمارة المساجد كجزء من هذا البناء الموضوعي المتكامل.

ومن هنا يظهر أن البراءة العقدية وقطع الولاية هي المقصد الأساس في هذا السياق، حيث لا يُعترف بعمارة المساجد إلا لمن تحققت فيه شروط الإيمان والعبادة، و»ما كان» هنا تؤدي وظيفة عقدية وبلاغية في آن واحد، فهي صيغة نفي مؤكد تقطع أي دعوى للمشركين، وتنسجم مع مقصد السورة في ترسيخ البراءة العقدية ووحدة الصف الإيماني.

المطلب الثاني: نفي مشروعية الاستغفار للمشركين بعد قيام الحجة.

بعد أن بيّن الله تعالى في مطلع سورة التوبة وجوب إظهار البراءة من الكفار والمنافقين في حياتهم، بقوله تعالى:﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة: ١)، جاء في هذه الآية تقريرٌ آخر يوسّع دائرة البراءة لتشمل أمواتهم أيضًا، حتى لو كانوا في غاية القرب من المؤمن كالأب أو الأم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (التوبة: ١١٣)، فالمقصود أن البراءة العقدية واجبة على أقصى درجاتها، وأنه لا يجوز وصلهم أو مواصلتهم بسبب من الأسباب، لا في حياتهم ولا بعد وفاتهم. والنفي لا يقتصر على الأعمال الظاهرة (كعمارة المساجد)، بل يمتد إلى الجانب الوجداني والدعائي (الاستغفار)، فالآية تقرر أن البراءة العقدية شاملة، تمنع أي صورة من صور الموالاة للمشركين، حتى لو كانت في شكل دعاء لهم بالمغفرة.

والنفي بصيغة «ما كان»: هنا هو نفي بمعنى النهي، وهو أبلغ من مجرد صيغة النهي المباشر؛ لأنه يُسمّى نفي الشأن، أي نفي أن يكون هذا الفعل من طبيعة النبي أو المؤمنين أصلًا. والمعنى: ليس من شأن النبي، ولا مما يصح أن يصدر عنه من حيث هو نبي، ولا من شأن المؤمنين، ولا مما يجوز أن يقع منهم من حيث هم مؤمنون، أن يطلبوا من الله المغفرة للمشركين، ولو كانوا من أقرب الأقربين الذين لهم حق البر والصلة

في الأصل.

أنّ الوحدة الموضوعية لسورة التوبة تبني نسقًا متكاملًا يقوم على البراءة من المشركين وقطع روابط الولاء معهم، وهذه الآية تأتي في هذا السياق لتؤكد أن البراءة تشمل حتى الجانب العاطفي والوجداني، فلا استغفار ولا دعاء لهم بعد قيام الحجة، فالآية تؤكد أن رابطة العقيدة مقدمة على رابطة القرابة، وأنه لا يجوز للمؤمنين أن يتجاوزوا حدود الولاء العقدي بالاستغفار لمن ثبت شركه، فالاستغفار للمشركين يُعد نوعًا من الموالاة أو التعاطف العقدي، فجاء النفي ليقطع هذه الصلة نهائيًا، حتى لو كان المشرك من أقرب الأقربين.

المطلب الثالث: تنزيه مقام النبوة وضبط الاستثناء في الاستغفار.

جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٤)؛ ليرفع أي شبهة عن إبراهيم عليه السلام، ويؤكد أن استغفاره لم يكن عن رضا بالشرك أو قبول له، وإنما كان عن التزام بموعدة، فلما ظهر له عداوة أبيه لله تبرأ منه فورًا.

جاء في الكشاف: قد يُطرح سؤال: كيف خفي على إبراهيم عليه السلام أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعد أباه بذلك؟ والجواب أن الأمر يُحتمل أن إبراهيم كان يظن أن الاستغفار جائز ما دام هناك رجاء في إيمانه، إذ لم يتبين له بعد حاله النهائي، ثم إن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما عُلم بالوحي، لا بالعقل؛ لأن العقل لا يمنع أن يغفر الله للكافر، وإنما جاء الوحي ليقطع هذا الاحتمال ويبين أن المغفرة لا تكون إلا للمؤمنين.

وقد ذكر الرازي في تفسيره أوجه تعلق هذه الآية بما قبله يمكن ان اوجزها على النحو الآتي: جاءت الآية هنا لتزيل أي توهم بأن الله منع النبي محمد ﷺ من أمرٍ كان مأذونًا لإبراهيم، ولتؤكد أن البراءة من الكفار تشمل أحياءهم وأمواتهم على السواء، كما أوضحت أن هذا الحكم ليس خاصًا بدين محمد ﷺ، بل هو أصل عقدي قائم في دين إبراهيم أيضًا، مما يعزز وجوب المقاطعة والمباينة للكفار. ثم بيّنت أن إبراهيم، مع كونه حليمًا وأواهًا شديد الميل للاستغفار لأبيه، مُنع من ذلك، فدلّ على أن غيره أولى بالمنع.

والنفي بصيغة «ما كان»: جاء هنا لنفي أن يكون استغفار إبراهيم لأبيه صادرًا عن تساهل أو ضعف في مقام النبوة، بل هو استثناء مضبوط بموعدة سابقة، أي وعدٍ التزمه إبراهيم قبل أن يتبين له حال أبيه. والنفي هنا ليس مجرد منع للفعل، بل هو نفي بمعنى النهي، أي تقرير أن هذا الأمر لا يليق ولا يصح أصلًا أن يصدر؛ وهذا الأسلوب يسمى نفي الشأن، وهو أبلغ من النهي المباشر؛ لأنه لا ينفي وقوع الفعل فقط، بل ينفي أن يكون من طبيعة المنفي عنه أو من شأنه، فيقطع أي احتمال لصدوره.

أمّا علاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، فهذه الآية تبني نسقًا متكاملًا في البراءة العقدية؛ فبعد نفي مشروعية الاستغفار للمشركين في الآية السابقة ، جاء هذه الآية لتضبط الاستثناء وتبرئ مقام النبوة من أي شبهة، فالآية تؤكد أن البراءة من المشركين تشمل حتى أقرب الأقربين، وأن الولاء العقدي مقدم على رابطة الدم، وهو ما ينسجم مع مقصد السورة في قطع كل أشكال الولاية مع الكفار، مما يعزز وحدة السياق في تقرير البراءة الكاملة.

المبحث الثالث: دلالة (ما كان) في تقويم السنن الإلهية وتنظيم الجماعة المؤمنة.

المطلب الأول: نفي الإضلال الإلهي بعد الهداية وتقرير سنّة البيان.

إنّ الله تعالى لا يضل قومًا بعد أن هداهم إلا إذا بيّن لهم ما يجب اجتنابه، ثم أقدموا عليه بعد العلم والبيان، أمّا قبل البيان فلا مؤاخذة عليهم، كما لم يؤاخذوا بشرب الخمر أو بعض المعاملات قبل تحريمها. وهذا يوضح أن الاستغفار للمشركين قبل ورود النهي كان معذورًا، أما بعد البيان فهو داخل في حكم الإضلال.

جاء في مفاتيح الغيب: بعد نزول النهي عن الاستغفار للمشركين خاف المؤمنون مما صدر منهم سابقًا من

استغفار لآبائهم وأقربائهم الذين ماتوا على الكفر، بل خافوا أيضًا على من مات من المسلمين قبل نزول الحكم وقد كان يستغفر للمشركين، فجاء قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٥)، ليزيل ذلك الخوف، ويبيّن أن الله لا يؤاخذ عباده إلا بعد البيان وقيام الحجة، فلا مؤاخذة على فعل صدر قبل التحريم أو قبل العلم بوجوب اجتنابه، وهذا وجه حسن في نظم الآيات.

أنّ النفي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ ، هو نفي مؤكد بلفظ «ما كان»، وهو نفي للشأن لا مجرد نفي للفعل، أي ليس من شأن الله تعالى ولا من مقتضى صفاته أن يضل قومًا بعد أن هداهم، إلا إذا قصّروا بعد البيان وقيام الحجة عليهم.

والآية الكريمة مرتبطة بالسياق العام لسورة التوبة؛ فهي جاءت بعد ذكر نهي النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين، حيث خاف المؤمنون أن يكونوا قد ضلّوا بما صدر منهم قبل نزول الحكم. فجاءت هذه الآية لتطمئنهم أن الله لا يضل قومًا بعد هدايتهم إلا بعد البيان وقيام الحجة، فرفعت عنهم الحرج وبيّنت عدل الله في مؤاخذة عباده، وبذلك تندرج الآية في الوحدة الموضوعية للسورة التي تؤكد البراءة العقدية من المشركين ، ويظهر أن استعمال «ما كان» هنا جاء ليؤكد أن الإضلال ليس واردًا إلا بمخالفة المكلّفين بعد وضوح الحق.

المطلب الثاني: نفي التخلف عن الرسول وترسيخ واجب النصرة .

الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٠)، جاءت لتؤكد أن التخلف عن رسول الله ﷺ في الغزو منافٍ لمقتضى الإيمان، وأن النصرة واجب لا يجوز التخلّف عنه إلا بعذر شرعي.

ولإرتباط الآية بما قبلها وجهان، الأول: أن هذا الحكم صلة بما سبق من المبايعة والعهود، إذ لا يليق بهم بعد أن بايعوا الرسول على النصرة أن يتخلّفوا عنه. والوجه الثاني: أن الآية مرتبطة بما بعدها، حيث بيّن الله أن كل ما يصيبهم من عطش أو مشقة أو مجاعة، أو ما ينالونه من العدو، يُكتب لهم به عمل صالح وأجر عظيم، فلا ينبغي لهم أن يتخلّفوا وقد ضُمِن لهم الثواب على كل مشقة. جاء في تفسير ابن كثير: في قوله تعالى: (وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) جاءت الآية هنا؛ لتعاتب المتخلّفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من أهل المدينة ومن حولها من الأعراب، إذ فضّلوا أنفسهم عن مواساته في المشقة، ففاتهم الأجر العظيم؛ لأنّ كل ما يصيب المجاهدين من عطش (ظمأ)، تعب (نصب)، أو مجاعة (مخمصة)، وكل موطئ يغيظ الكفار أو نيل من العدو، يُكتب لهم به عمل صالح وثواب جزيل؛ إذاً المتخلّفون نقصوا أنفسهم من هذا الأجر؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين، ويثيبهم على كل مشقة أو مواجهة للعدو.

إنَّ صيغة النفي بـ(ما كان) جاءت في صورة خبر، لكنها مستعملة في إنشاء الأمر على سبيل المبالغة؛ إذ جعلت التخلف عن رسول الله ﷺ أمرًا غير ثابت لهم، وكأنهم برآء منه، فيثبت لهم ضده وهو الخروج مع النبي إذا غزا. وفي ذلك ثناء على أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب لما قاموا به في غزوة تبوك، كما يتضمن تحريضًا لهم على الاستمرار في النصرة والجهاد مع رسول الله ﷺ . وهذا النفي بصيغة (ما كان) يفيد النهي؛ لأهل المدينة، وهي أبلغ من النهي بأداته (لا)؛ لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبداً. هذا الأسلوب يرتبط بالوحدة الموضوعية لسورة التوبة التي تميّز بين المؤمنين والمنافقين، وتؤكد أن النصرة والجهاد معيار صدق الإيمان، فالسورة تنظّم الصف المؤمن وتكشف المتخلّفين، وتربط كل مشقة أو مواجهة للعدو بالأجر العظيم، مما يجعل النصرة واجبًا وجوديًا لا ينفصل عن حقيقة الإيمان، وهذا ينسجم مع سياق

غزوة تبوك ويخدم الوحدة الموضوعية للسورة، إذ يرسّخ أن التخلف عن الرسول أمر منفي الشأن، ويثبت أن المشاركة معه في الجهاد هي علامة الإيمان الصادق، وفيها ثناء وتحريض لأهل المدينة ومن حولهم على مواصلة النصرة.

المطلب الثالث: ترشيد النفير العام وتنظيم فقه الجهاد.

جاء قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢)، ليرشد المؤمنين إلى تنظيم النفير العام، ويؤكد على أن التفقه في الدين وظيفة لا تقل أهمية عن الجهاد، وأن الجماعة المؤمنة لا تقوم إلا بتكامل العلم والعمل، أي ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا إلى الغزو ويتركوا رسول الله ﷺ وحده، بل المطلوب أن ينفر من كل قبيلة جماعة، وتبقى أخرى للتفقه في الدين. فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن بعدهم، تعلّمه القاعدون، ثم أنذروا إخوانهم بما أنزل الله على نبيهم. وهكذا يتوزع العمل بين من يخرج للجهاد ومن يبقى للتعلم والتعليم، فيتحقق التوازن بين نصرة الدين بالسيف ونصرته بالعلم والبيان.

روي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية : أن الله تعالى لمّا أنزل عيوب المنافقين لتخلّفهم عن الجهاد في غزوة تبوك، قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ، ولا عن سرية أبدًا. فلما بعث النبي ﷺ السرايا إلى العدو للقتال، نفر المسلمون جميعًا وتركوا رسول الله وحده في المدينة، فأنزل الله هذه الآية.

صيغة «ما كان» هنا تؤكد النفي على سبيل التشريع، لتنظيم النفير العام ومنع خروج الجميع، وإثبات ضده وهو وجوب توزيع الأدوار بين النفير والتفقه . فقد جاءت صيغة الخبر هنا؛ لإنشاء نهي يضبط سلوك الجماعة المؤمنة ويمنع نفير الكافة، ويثبت ضده وهو وجوب أن ينفر بعضهم ويبقى بعضهم للتفقه والإنذار. والآية مرتبطة بالسياق الذي يعالج قضية النفير بعد فضح المنافقين، وهي جزء من الوحدة الموضوعية لسورة التوبة التي تهدف إلى كشف النفاق، تثبيت الإيمان، وتنظيم الجماعة المؤمنة. فجاء النفي بـ (ما كان) ليؤكد أن نفير الكافة منفيّ الشأن، ويثبت ضده وهو وجوب توزيع الأدوار بين الجهاد والتفقه، تحقيقًا لمقاصد السورة في بناء الصف المؤمن المتكامل.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الرحمات، وبحكمته تُقام السنن وتُحفظ الجماعات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

١–ومن خلال التجوال مع لفظ (ما كان) في سورة التوبة، وما يحمله من دلالات عقدية وتشريعية وبلاغية، نستطيع أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها على النحو الآتي:

٢–الوحدة الموضوعية للسورة: تدور حول البراءة من المشركين، فضح المنافقين، كشف المثبطين والمتخلفين، وتنظيم الصف المؤمن والتحريض على الجهاد.

٣–أهم موضوعات السورة: إعلان البراءة، منع المشركين من دخول المسجد الحرام، مجاهدة أهل الكتاب، الحث على النفير، وفضح المنافقين ومؤامراتهم مثل مسجد الضرار.

٤–معاني (كان): قد تدل على الماضي أو الدوام أو الانقطاع أو الحال أو الاستقبال أو التحول، بينما تركيب (ما كان) يضيف قوة خاصة بالنفي المؤكد أو النهي الصريح.

٥–دلالات (ما كان): ليست مجرد نفي للفعل، بل نفي للشأن، أي تقرير أن المنفي ليس من طبيعة المخاطَبين ولا يليق بهم أصلًا، مما يجعلها أداة بلاغية وتشريعية دقيقة.

٦-في عمارة المساجد: النص يقرر أن العمارة ليست من شأن المشركين أصلًا، فـ (ما كان) هنا يغلق الباب أمام أي دعوى لهم ويثبت أن وجودهم سبب خراب لا عمارة.

٧-في الاستغفار للمشركين: جاءت صيغة (ما كان) لتجعل الاستغفار أمرًا غير جائز ولا يليق بالمؤمنين، فهي تنفي المشروعية وتقطع أي صورة من صور الموالاة العقدية.

٨-في قصة إبراهيم: استخدمت (ما كان) لتوضيح أن استغفاره لم يكن عن قبول للشرك، بل عن وعد سابق، ثم تبرأ منه، فهي صيغة تنزيه لمقام النبوة من أي شبهة.

٩- في الإضلال بعد الهداية: النص يقرر أن من غير الممكن أن يكون الإضلال صفة لله بعد الهداية، إلا إذا قصّر الناس بعد البيان، فـ (ما كان) هنا يرسّخ قاعدة العدل الإلهي ويزيل أي توهم بخلاف ذلك.

١٠-في التخلف عن الرسول: التعبير جاء ليجعل التخلف أمرًا مستبعدًا من طبيعة المؤمنين، وكأن النص يقول: ليس من شأنهم ولا مما يليق بهم أن يتأخروا عن نصرة النبي، فـ (ما كان) هنا صيغة تقرر المعيار الحقيقي للإيمان.

١١-في النفير العام: وردت الصياغة لتمنع نفير الجميع، وتؤسس لفقه التوزيع بين الجهاد والتفقه، فهي ليست مجرد نفي، بل تقرير تشريعي بأن خروج الكافة غير مقبول، وأن الأصل هو التوازن، فـ (ما كان) هنا أداة تنظيمية تضبط حركة الجماعة.

١٢- السياق في سورة التوبة يبرز بوضوح أن (ما كان) أداة نفي للشأن، تُستخدم لترسيخ الفصل العقدي والتنظيمي؛ فهي تنفي إمكان وقوع ما لا يليق بالمؤمنين أو لا يصح في حقهم، وتؤكد أن البراءة والولاية والعدل الإلهي كلها مبادئ ثابتة لا تقبل الاستثناء.

المصادر:

بعد القرآن الكريم

١. أسباب نزول القرآن: الواحدي، علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣. الأساس في التفسير: سعيد حوّى (ت١٤٠٩هـ)، دار السلام – القاهرة.

٤. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.

٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩هـ.

٦. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، الناشر: دار الرشيد – دمشق، مؤسسة الإيمان – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

٧. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨. جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٩. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان – المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١١. اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل الدمشقي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٢. لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد الخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٣. اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية – الكويت.
١٤. مباحث في علوم القرآن: مناع القطان (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: البغوي، الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٦. معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى.
١٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٨. موقف القرآن من خصومه: عمر عبد الرحمن، رسالة دكتوراه، دار مصر المحروسة – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
١٩. التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ط١، ١٩٨٤م.
٢٠. التفسير القرآني للقرآن: محمد الأمين بن عبد الله الشافعي (معاصر)، دار طوق النجاة – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي (معاصر)، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر – القاهرة، ط١.
٢٣. التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٣هـ.
٢٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٢٥. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٦. تفسير القرآن العظيم (طبعة أخرى): نفس بطاقة ابن كثير أعلاه.
٢٧. تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٢٨. تأويلات أهل السنة: الماتريدي، محمد بن محمد (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٩. زهرة التفاسير: محمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
٣٠. روح البيان في تفسير القرآن الكريم: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٢. فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣. فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق/بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٣٤. القواعد التطبيقية في اللغة العربية: د. نديم حسين دعكور، الناشر: مؤسسة نجسون للنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
٣٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٣٦. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف بن أحمد محب الدين الحلبي المعروف بناظر الجيش (ت٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٣٧. التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري (ت١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٨. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث: فضل حسن عباس، دار النفائس – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٣٩. وسائل الفئة في شرح العوامل المائة: بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: د. محمود محمد العامودي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية – غزة.

الذكوات البيض

Al-Thakawat Al-Biedh Magazine

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon